"العقوبات وتنفيذ الأحكام في مدينة القسطنطينية"

إعداد

سارة علي عبد المجيد صبري

المدرس المساعد بكلية الآداب جامعة اسوان.

العقوبات وتنفيذ الأحكام فى مدينة القسطنطينية.

تعددت أشكال العقوبات داخل المجتمع الروماني قَبل عهد التسامح الديني وإصدارِ الإمبراطور «قسطنطين الأول» مرسومَ ميلان سنة ٣١٣م، فقد عانى المسيحيون معاناةً شديدةً وذاقوا شتى أنواع العذاب من قِبل الأباطرة في ولايات الإمبراطورية، وليس أدلَّ على ذلك من أن الإمبراطور «قسطنطين الأول» أصدر أوامره بإلغاء جميع القرارات التي أصدرها «ليكينيوس» Licinius ضد المسيحيين، وأطلق سراح كلِّ المسيحيين من السجون والمناجم أو الحِرف الدنيئة الحقيرة التي كان بعضهم قد حكم عليهم بالاشتغال بها احتقارًا أو تصغيرًا لشأنهم(١).

ليس هذا فحسب، ولكن هذا الإمبراطور فرض أيضًا عقوباتٍ قاسيةً على مرتكبي جريمة الخطف والاغتصاب، واهتم برعاية الأبرياء والضعفاء والفقراء، وأوجب عقوباتٍ شديدةً على الوشايات الكاذبة(٢)،كما يجب الإشارة إلى أن العقوبات التي كانت تفرضها قوانين الكنيسة على رجال الكهنوت أشدّ من التي تفرض على

---

(١) أندرو ملر: مختصر تاريخ الكنيسة، (القاهرة، ٢٠٠٣)، ص١٥٠.

*بعد أن انتصر الإمبراطور قسطنطين فى معركته ضد «ليكينيوس» ،أعلن الحرية الدينية ، وتم تسليم الأراضى والممتلكات على الفور إلى المسيحيين.انظر:

Johannes Roldanus, The Church In The Age Of Constatine , Routledge. New york 2006, P. 71.

(٢) منى كرم: القديسة هيلانة، القديسة هيلانة وابنها الإمبراطور قسطنطين الكبير، مجلة دار المشرق، العدد يونيو،٢٠٠٧م، ص٢١٧.

العلمانيين، فقد تعددت أشكال العقوبات داخل الكنيسة ما بين (التّـوبيخ، العتـاب، الطّرد، الإنذار، اللّعنة، وغيرها)[١].
على أية حال، فإن مؤرخي القرون الوسطى اعتبروا العقوباتِ الجسديةَ عقوباتٍ شرعيةً، ولم يصفوها بالأفعال العنيفة طالما كانت هذه العقوباتُ نتيجةً لخيانةٍ أو تآمرٍ أو انتهاكٍ لأوامر المَلِك أو ما شابه[٢].

ومن أبشع العقوبات الجسدية، ما فعلته الإمبراطورة «ثيودورا» مع أحد أعضاء مجلس الشيوخ، ويدعى «ثيودسيوس»، فإلى جانب تجريده من ممتلكاته، تم رميُه في زنزانة وأُجبر على الوقوف في الظّلام وقد رُبطت رقبتُه بمعلفٍ للدواب بواسطة حبلٍ قصير، وظلّ كذلك قرابة أربعة أشهر، حتى أصيب بالجنون، وبعد إطلاق سراحه وافتْه المنية مباشرة ، وفقًا لرواية بروكبيوس[٣].

وفى هذا البحث سوف نتناول أهمَّ العقوبات التي طُبِّقت في القسطنطينية ، مثل عقوبة النفى وعقوبة سمل الأعين إلى جانب عقوبة الأعدام وعقوبة السجن ، وقد تطرقنا إلى العقوبات الآلهية.

أولاً: أهمّ العقوبات في القسطنطينية:

١-عقوبة النفي:

يقصدُ بهذه العقوبة: إخراج المتهم من بلده الذي يعيش فيه قسرًا إلى بلد آخر تقرِّرُه جهة العقاب، سواء داخل القسطنطينية أو خارجها، فقد اتَّبع البيزنطيون أسلوبَ النفي بشكلٍ واضحٍ مع بداية انتشار المسيحية، فقد طبَّقها كثير من الأباطرة المتعسِّفين ضد المسيحية، وكان الإمبراطور هو الذي يصدر الأوامر بالنفي، فهي

(١) الأنبا إرميا: القوانين الكنسية، ج١، المركز الثقافي القبطي الأرثوذكسـي، ٢٠١٣ ، ص٩-٣٩.

(٢) محمد عبد الشافي المغربي: العميان في الدولة البيزنطيـة، المجلـة المصـرية للدراسـات التاريخية بالجمعية التاريخية – القاهرة، المجلد ٢٠١٢، عدد ٤٨، ص٨٧.

(٣) بروكوبيس: التاريخ السري، ت: علي زيتون، دمشق/ ٢٠٠٣م ، ص٥٧.

مسئوليةٌ من مسئوليات الإمبراطور في توزيع العقوبات، حيث إن هذا جزءٌ لا يتجزأ من المنصب الإمبراطوري[١]،فقد كان يرسل المنفيّ إلى مكان بعيد عن بلدته، وغالبًا النفي إلى الحدود أو إلى المناطق النائية من الإمبراطورية، وأحيانًا كانت الجزرُ هي المكان المفضل لإرسال المنفيين، وعلى ما يبدو كان جنوب مصر المكانَ الأكثرَ شيوعًا لإرسال المحكوم عليهم بالنفي، وليس أدلّ على ذلك، من قيام الإمبراطور «قنسطنطيوس الثانى» بنفي الأسقف «لوسيفر» Lucifer Calaritanus أسقف سردنيا لرفضه التوقيع على وثيقةٍ معيَّنةٍ في مجلس ميلان سنة ٣٥٥م، وقد خصص له ثلاثة مواقع في «كليكيا» Cilicia وفي فلسطين وفي نهاية المطاف كانت مصر، وأثناء وجوده في المنفى قيل: إنه ألَّف خمسة أعمالٍ انتقادية لتوبيخ «قنسطنطيوس»[٢].

أما عن الحالات التي كانت تطبَّق فيها تلك العقوبة، فكانت تفرض على المتهمين في جريمة الهرطقة، مثل نفي «أثناسيوس»، فخلال عهد الإمبراطور «قنسطنطيوس الثانى» حكم عليه بالنفي، وتجدد هذا الحكم في عهد الإمبراطور «جوليان»؛ إذ أمر بتنفيذ حكم الطرد بحق «أثناسيوس» سنة ٣٦٢م، مما ألزم الأخيرَ باللجوءَ إلى الأديرة في الصحراء(٣).

---

(1) Washburn D Banishment In The Later Roman Empire: The Rhetoric And Realities Of A Disciplinary Institution ,(Ph.D, the University Committee on Graduate Studies,2007)،p.61-82.

(2)Washburn D Banishment:Ipid,pp.156-158-160, 176 -177.

(٣) مصيونة عبد الواحد محمد: العلاقة بين المذاهب الدينية المسيحية والدولة البيزنطية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عمر المختار–البيضاء، سنة ٢٠٠٩، ص١٠٩–١١٤.

* عندما تولى الإمبراطور قسطنطيوس الإمبراطورية، قام بمهاجمة أثناسيوس والكاثوليك، واضطر أثناسيوس إلى الفرار إلى الصحراء المصرية عام ٣٥٨م. للمزيد عن اضطهاد أثناسيوس ينظر:

Athanasius: Athanasius: Select Works and Letters, E.PhilipSchaff Literature. Publishing, New York,1892,p.60-62.; James w. Ermatinger The Decline and fall of the Roman Empire London, 2004,p.62

وأيضًا تفرض عقوبة النفي على من قام بتزوير عقودِ الأراضي أو النساء اللاتي سعَيْن إلى الطلاق، وأيضا إذا سعى شخصٌ إلى الزواج من امرأة وهي رافضة، سواء كانت عذراء أو أرملة تعيش مع والدها، فإنه يعاقب بغرامة عشرة جنيهات من الذهب، فإذا رفض الانصياع للعقوبة، فعقوبته النفي لمدة عامين، وعدم السماح له بالعيش في المقاطعة(١).

ومن أشهر الشخصيات التي تعرَّضت لعقوبة النفي، قيام الإمبراطورة «ثيودورا» بنفي «يوحنا الكبادوكي» John Of Cappadocia(٢) الوالي البريتوري، وحاولت القضاء عليه؛ بسبب معارضته لها بجرأة في عددٍ من المسائل، إلى جانب اتِّهامه بقتل أحد الأساقفة(٣).

ومن الجدير بالذِّكر، أنه كان يحظر على الذي حكم عليه بالنفي الذهاب إلى أيِّ مكان خارج منفاه، مثلما حدث مع «بولس» أسقف القسطنطينية (٣٣٦-٣٥١م) عندما أمر الإمبراطور «قنسطنطيوس الثانى» بنفيه إلى تسالونيك، ومنْعِه بشدةٍ من الاقتراب من الأقاليم الشَّرقية. وأيضًا إذا حكم بالنفي على مجموعة يتم تفريقهم عن بعض، مثلما حدث مع «أثناسيوس» حينما تمت تفرقته هو وأتباعه إلى عدة أماكن مختلفة(٤).

---

(1)The Theodosian Code and Novels and the Sirmondian Constitutions, trans. C. Pharr,(Princeton, 1952) , p.83.; Washburn D:OP.Cit.p.160.

٢) يوحنا الكبادوكي: هو فلسطيني الأصل، وكان يشغل منصب الوالي البريتوري، وكان أيضًا الرَّجُلَ الأول لبيت المال في عهد الإمبراطور جستنيان، وكان رجلاً غايةً في اللباقة والكرم ذا طبيعة طيبة، وانتزعت منه ثيودورا هذا المنصب وأعطته لشخص يُدعى بطرس. ينظر: بروكوبيس: التاريخ السري، ص١٣٠-١٣١.

(3) Washburn D:OP.Cit.p.164.

٤) سقراتيس سكولاستيكوس: التاريخ الكنسي، ترجمة: ايه. سي زينوس، تعريب: بولا ساويرس، سلسلة: المؤرخون الكنسيون الأوائل ، ص٢١٢.

و كان الشخص المنفيُّ رغم تحديد إقامته يمارس نشاطَه بكلِّ حريةٍ، ولكن في نطاق المكان الذي يقيم فيه، فقد حظي «يوحنا ذهبي الفم» في منفاه بتكريمٍ عظيم، حتى امتلك مواردَ ماليَّة وفيرَة، وزوَّدَه أتباعُه بأموال كثيرة، فقام بشراء حرِّية كثيرين من الأسرى وردَّهم إلى عائلاتهم، كما صار محبوبًا في أرمينيا حيث كان يقيم، ومن قِبل جميع النَّاس في الدول المجاورة[١]،كما تعرَّض بعض الأشخاص لعقوبة النفي أكثر من مرة، وفي كل مرة يتم نفيهم إلى أماكن مختلفة عن المرة السابقة، فهذا القديس «أثناسيوس» تعرَّض لعقوبة النفي عدة مرات، ففي إحدى المرات تم نفيُه إلى مدينة في الغال، أما في المرة الثانية فقد أمر الإمبراطور «قسطنطنيوس الثانى» بطرده من الكنيسة، فلما علم «أثناسيوس» ذهب إلى الإمبراطور «قنسطانس» يشكو له الأمر، فكتب الإمبراطور «قنسطانس» لأخيه بعدم انتهاك دِينِ أبيه الذي ورثوه، وعند عودته بناءً على طلب «قنسطنطنيوس » قام أعداء «أثناسيوس» بالوشاية ضده عند الإمبراطور واتِّهامه بأنه سيكون السببَ في قطع الروابط الأسرية بين الإمبراطور «قسطنطنيوس» وأخيه واندلاع حربٍ أهليةٍ بينهم، فحكم الإمبراطور «قسطنطنيوس» على «أثناسيوس» ليس بالنفي فقط ولكن بالموت، وأرسل قائده العسكري بجيشٍ كبيرٍ لقتله كما لو كان مجرمًا[٢].

كما أنه في عهد الإمبراطور «جوليان» المرتدّ نادى الوثنيون بنفي «أثناسيوس» بحجة أنه إذا بقي فلن يكون هناك وثنيٌّ واحد؛ إذ سيجذبهم جميعًا إلى صفِّه، وبناءً

---

١) ثيودوريتوس: التاريخ الكنسي لثيودوريتوس أسقف كيروش، ترجمة: بلومفيلد جاكسون، تعريب: بولا ساويرس، سلسلة: المؤرخون الكنسيون الأوائل، ص١٤٩، ١٥٠.

٢) عندما تقدّم الجيش وأحاط بالكنيسة أراد أثناسيوس ألا يترك الشعب في مواجهة الخطر، فجلس على العرش وأمر بقراءة المزامير ثم أمر الشعب بالعودة إلى منازلهم، وعندما غادروا الكنيسة نهض الرهبان وبعض رجال الأكليروس ممسكين بأثناسيوس وخرجوا خارج الكنيسة، ويقول أثناسيوس: إن الربَّ حفظهم حيث مرُّوا بالجنود المحتشدين وخرج بلا ضرر يلحق بالشعب وتمكن من الفرار من الجيش.

(للمزيد انظر: ثيودورتيس، مصدر سابق، ص١٤٩: ١٧٧).

على طلباتهم أمر «جوليان» بنفي «أثناسيوس»، وعندما علم «أثناسيوس» بذلك هرب إلى طيبة فى جنوب مصر(١).

ومن الجدير بالذكر والملاحظة أن «أثناسيوس» قام في فترة نفْيه بكتابة أبحاثِه الأربعة ضد الآريوسيين، ومن أشهر مؤلفاته: "نجم الصحراء، حياة القديس أنطونيوس"(٢).

ولما كان المنفيُّ يُرسل في بعض الأحيان إلى الأماكن الصحراوية النائية، فقد كان كثير من المنفيين يتعرضون لكثيرٍ من الأخطار والصعوبات؛ بسبب طبيعة هذه الأماكن القاسية عليهم، وخير مثال على ذلك «تيماسيوس» Timasius الذي كان جنرالاً في الجيش، ولكنَّه تعرَّض لغدر «يوتروبيوس» Eutropius الذي استصدر مرسومًا إلى «باسيس» Bassis حاكم مصر بذريعةِ أنه تآمرَ على السُّلطة، وقد سقط «تيماسيوس» ضحيَّةَ العطش والجفاف ووُجد ميتًا(٣).

و هذا إن دل على شيء فإنما يدلُّ، أنه على الرغم من عدم صعوبة عقوبة النفي في نظر البعض، فإنها لاقت اهتمامًا كبيرًا من قبل المسئولين، فكان المنفيُّون لا يُتركون في أماكن منفاهم فحسب، بل يكون هناك مراقبون لهم ولتصرفاتهم، وتُحدد إقامتهم في مكانٍ محدَّد على الرغم من هذه العقوبة.

٢- عقوبة سمل الأعين :

كانت عقوبة سمل الأعين من العقوبات المطبقه بشكلٍ خاصٍّ من قِبل الأباطرةِ الرومان، فقد فرضوها على نطاقٍ واسعٍ لمعاقبة المسيحيين منذ عهد الإمبراطور

---

١) ثيودوريتس، مصدر سابق، ص٢٥١.

٢) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة، ط: دار الثقافة العربية، القاهرة/ ١٩٨٢م.، ص١٧٨.

٣) سوزمين: التاريخ الكنسي، ترجمة: تشستر هارتر، تعريب: بولا ساويرس، ط: سلسلة المؤرخون الكنسيون الأوائل، ١٨٩٠م، ك٨،ص ٧٣٦.

«دقلديانوس» حتى عهد الإمبراطور «قسطنطين الكبير» الذي أمر بوقفها، ثم ظهرت بعد ذلك سنة ٧٠٥م في الفترة الثانية عندما عاد «جستنيان الثاني» إلى العرش فى ٧٠٥م إلى ٧١١م(١). ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه العقوبة كانت عرفًا اختصت به الأجناس الشرقية وبصورةٍ رئيسةٍ في بلاد فارس، وقد استخدمت ثلاث طرق لسمل الأعين:

- استخدام بعض الوسائل، مثل: الأسياخ الحديدية أو السكين أو الخنجر.
- استخدام النار (الفحم الحجري).
- استخدام الماء أو الزيت أو الخل المغلي(٢).

وعلى أية حال، فقد تَعرَّض لهذه العقوبة كلُّ مَن ثَبت إدانتُهم بالخيانة العظمى، والأسرى، وأصحاب الجدل الديني، وكذلك المتآمرون والمتمردون، وقادة الثورات ضد الأباطرة، كما سملت عيونُ كثير من الأباطرة في حالات فوز المتمردين، وقد تبدو لنا هذه العقوبة وحشيةً ولاإنسانية، لكنها استخدمت في تلك الحِقبة للحدِّ من عقوبة الإعدام(٣).

٣-<u>عقوبة الإعدام:</u>

عقوبة الإعدام أو عقوبة الموت ، هي: قتلُ شخصٍ بإجراءٍ قضائيٍّ من أجل العقاب أو الرَّدع، وقد كانت عقوبة الإعدام، منذ عرَفها الإنسانُ من فترة سحيقة، من أشد العقوبات وأقساها، فهي تسلب الإنسان حياته (٤).

---

(1) Lascaratos,J.&Maketos,S., "The Penalty Of Blinding during Byzantine Times", documenta Ophalmogica,VOL.81,(1992)p.133.

* كان الضحية الأولى لهذه العقوبة في عهد جستنيان الثاني كالينيكوس Callinicos بطريرك القسطنطينية، كما صرح جورج كدرينوس George Kadrinos , أن جستنيان الثاني أعماه ونفاه إلى روما. انظر: Lascaratos,J.&Maketos,S.: IPid;p.133.

(2) Lascaratos,J.& aketos,S.: IPid;p.133.

محمد عبد الشافي المغربي: العميان في الدولة البيزنطية، ص٨٧.

(3) Lascaratos,J.&Maketos,S., op.cit, pp.133;

- (٤) الأمين أبو سعدة: عقوبة الإعدام في بيزنطة بين الواقع والقانون، ٣٣٠ – ١٢٠٤م، حوليات مركز البحوث والدراسات التاريخية، كلية الآداب– جامعة القاهرة، عدد: مايو ٢٠١٦م ، ص١٢.

أما عن الجرائم التي تستحقُّها هذه العقوبة، فقد أوْصَت شريعة العهد القديم بعقوبة الإعدام لعددٍ من الجرائم: القتل الغدر: "من ضرب إنسانًا فمات يقتل قتلاً"(١)، الخطف: "ومن سرق إنسانًا وباعَه أو وجد في يده يُقتل قتلاً"(٢)، الاضطجاع مع بهيمة: "كل من اضطجع مع بهيمة يقتل قتلاً"(٣)، الزِّنا: "وإذا زنى رجل مع امرأة فإذا زنى مع امرأة قريبِه فإنه يُقتل الزاني والزانية"(٤)، الشذوذ الجنسي: "وإذا اضطجع رجل مع ذكر اضطجاع امرأة فقد فَعَلا كلاهما رجسًا. إنهما يقتلان. دمهما عليهما"(٥)، ادِّعاء النبوَّة: "وذلك النبي أو الحالم ذلك الحلم يقتل لأنه تكلَّم بالزيغ من وراء الرب إلهكم الذي أخرجكم من أرض مصر وفداكم من بيت العبودية لكي يطوّحكم عن الطريق التي أمركم الرب إلهكم أن تسلكوا"(٦)، الاغتصاب: "فأخرجوهما كليهما إلى باب تلك المدينة، وارجموهما بالحجارة حتى يموتا؛ الفتاة من أجل أنها لم تصرخ في المدينة، والرجل من أجل أنه أذلَّ امرأة صاحبه، فتنزع الشر من وسطك"(٧)، إضافة إلى عددٍ من الجرائم الأخرى. كما نصت الشريعة الإلهية كما في العهد القديم على أن "سافك دم الإنسان بالإنسان يسفك دمه"(٨).

---

(١) سفر الخروج (٢١: ١٢).

(٢) سفر الخروج (٢١: ١٦).

(٣) سفر الخروج (٢٢: ١٩).

(٤) سفر اللاويين (٢٠: ١٠).

(٥) سفر اللاويين (٢٠: ١٣).

(٦) سفر التثنية (١٣: ٥).

(٧) سفر التثنية (٢٢: ٢٤).

(٨) سفر التكوين (٩: ٦).

و عندما أحضر الفريسيون المرأة التي أمسكت في وضع الزنا إلى يسوع، وسألوه إن كان يجب أن تُرجَم، أجاب يسوع قائلاً: "من كان منكم بلا خطيَّةٍ فليرمها أولاً بحَجر"(١). لا يجب أن تكون هذه الحادثة إشارةً لرفض يسوع لعقوبة الإعدام في كل الأحوال، بل إنها دليل على ضرورة التحقق من صحة وقوع الجريمة، وأن كل ابن آدم خطاء.

أما في القانون الروماني فقد تعددت الجرائم التي تستحق الإعدام. ورغم الاتِّجاه السلمي التسامحي الذي نادى به السيد المسيح عليه السلام في الإنجيل(٢)، وأشار فيه إلى المثل القديم: "عين بعين"(٣)، ورغم شهرة عبارته، فإن تأثيرها – كما سنرى– كان قليلاً في بيزنطة وأوربا في العصور الوسطى على حدٍّ سواء.

أما عن بيزنطة، فقد كانت في كثير من النواحي امتدادًا للإمبراطورية الرومانية، وخصوصًا فيما يتعلق بالقانون الروماني، فقد ورثت بيزنطة عن القانون الروماني مبدأ التفرقة في العقوبة لنفس الجريمة بين طبقة العبيد وطبقة الأحرار. في قوانين الإمبراطور «ثيودسيوس» فرضت عقوبة الإعدام على المغتصبين للنساء وعلى العبيد وكافة الطبقات الأخرى حتى أعضاء السناتو، ولكن العبيد خُصِّصت لهم عقوبة الإعدام حرقًا(٤).

ومن الملاحظ تعدُّد الجرائم التي تستحق هذه العقوبة في القانون البيزنطي، وقد تم ذكر العديد منها سابقًا، وقد كانت جريمة الخيانة العظمى وما يندرج تحتها من جرائم مثل الثورات والتمرد والتآمر ضد الإمبراطور أو الدولة، يطبق عليها عقوبة الإعدام، إلى جانب مصادرة الممتلكات وحرمان الخائن من حقِّ الدفع،

---

(١) سفر يوحنا (٨: ٧).

(٢) "سمعتم أنه قيل: عين بعين وسنٌّ بسن، وأما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشر. بل من لطمك على خدك الأيمن فحوِّلْ له الآخر أيضًا، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضًا، ومن سخرك ميلاً واحدًا فاذهب معه اثنين". متى، (٥: ٣٨-٤١).

(٣) سفر الخروج: ٢١: ٢٣.

(4) Codex Theodosianus; (9.24.21)

وأيضًا كانوا يحرمون من العفو الإمبراطوري في المناسبات والأعياد. بل من الثابت أن هذه الجريمة كانت هي الحالة الوحيدة التي يُعتد فيها بشهادة النِّساء والعبيد والجنودِ وحتى ذوي السُّمعة السَّيئة، و هذا إن دل فإنما يدلُّ على خطورة هذه الجريمة(١).

كما صنَّفت قوانين الإمبراطور «ثيودسيوس الثاني» التآمرَ ضدَّ الجنود وموظَّفي الدولة أو أعضاء مجلس الشيوخ والموظفين الإمبراطوريين تحت مسمى الخيانة العظمى(٢).

ومن الملاحظ أن العقوبة على تلك الجرائم في الغالب كانت توقَّع فورًا بقرارٍ من الإمبراطور دون محاكمة، وخيرُ دليل على ذلك أنه في عام ٣٢٥م وخلال ثورة نيقا قبَضَ الإمبراطور «جستنيان الأول» على «هيباتيوس» الذي نصَّبه الثُّوَّار إمبراطورًا، وقضى بإعدامه هو وشقيقه، وألقى بِجثَّتهما في البحر، وبعد أن لفظهما البحر، أمر أن توضع جثتهما وسط أجسام باقي المعدومين في الثورة، وكتب عليها عباراتٍ ساخرةً، غير أنه سمح في النهاية لذويهم بدفنهم(٣).

ولم تكن عقوبة الإعدام مصيرَ من قاموا بالثورة أو التمرد فقط، ولكن كانت تطبَّق على كل من يُشتبه فيه أو يَنوي القيام بثورة، وغالبًا كان يتم قتلُ جميع الثُّوار علنًا في أرض التمرُّد أو في الهيبدروم، فمن الواضح أن هناك أوامرَ رسميةً للجنود بالقضاء على أيِّ شغبٍ أو تمرُّد من قِبل الشَّعب في أرض الحادثة في الحال، وخير مثال على ذلك: أحداث إعدام «جالوس» Gallus سنة ٣٥٤م، فقد أساء «جالوس» معاملة الناس، فأرسل إليه الإمبراطور «قنسطنطيوس الثاني» وحاكَمَه،

---

١) مدونة جستنيان، ترجمة: عبد العزيز فهمي، المركز القومي للترجمة: القاهرة– ٢٠٠٩، ص٣١٧ ؛ الأمين أبو سعدة، عقوبة الإعدام ، ص١٦، ١٧.

2) Codex Theodosianus , IX , 14: 3.

3) Theophanes confessor: The Chronicle of Theophanes ,Tr.by Cyril mango and Roger Scott, (London ,1997) , P.280 ; Paschale: Chronicon Paschale 248-628 AD , Tr. Michael Whitby and Mary Whitby , (Liverpool University press, 1989) , P.126.

وأمر بإعدامه، إلا أنَّ الإمبراطور تراجع عن قراره، فأرسل بعض رجاله (أتباعه) لوقف التنفيذ، إلا أن الوالي «يوسابيوس» Eusabius أقنعهم بعدم إظهار هذا الأمر، حتى يتم تنفيذ قرار الإعدام(١)، والجدير بالذِّكر، أنه عندما تولى «جوليان» المرتد (٣٦٠-٣٦٣م) Julian قام بإعدام «يوسابيوس»، وطرد جميع الخصيان من القصر سنة ٣٦٠م(٢).

إلى جانب استخدام الجنود العنفَ ضد الثوار المعترضين على تنصيب «مقدونيوس» أسقف القسطنطينية، ففي أثناء محاولاتهم لإفساح طريقٍ لمرور حاكم المدينة و«مقدونيوس»، ولما كان المكان محتشدًا بالثوار وكانت هناك مقاومة من قبل الجماهير، بدأوا في استخدام سيوفهم لقتل الواقفين في طريقهم، مما أدى إلى سقوط كثير من الأشخاص في هذه المذبحة، إلى جانب موت كثيرين تحت الأقدام بسبب اندفاعهم للهرب من وحشية الجنود(٣).

إلى سقوط كثير من الأشخاص في هذه المذبحة، إلى جانب موت كثيرين تحت الأقدام بسبب اندفاعهم للهرب من وحشية الجنود(٤).

وفي عام ٤٤٧م، بعد شكِّ الإمبراطور «ثيودسيوس الثاني» في خيانة زوجته «إيدوكيا» Eudokia، نفاها إلى كبادوكيا، ثم أعدمها بعد ذلك حسب رواية «ثيوفانيس»، وإن كانت هناك أقاويلُ أنها نُفيت إلى بيت المقدس(٥).

---

1) Ammianus Marcellimus: Roman History,Tr.John C.Rolef ,(London,1935), Vol.II. P.19 .

(٢) أسد رستم: الروم، ط: دار المكشوف، بيروت/ ١٩٥٥-١٩٥٦م، ج ١، ص٧٨-٨٥.

(٣) سقراتيس، مصدر سابق، ص٢١٣ ؛ رأفت عبد الحميد، الثورة الشعبية في القسطنطينية، المجله التاريخيه المصريه ، مج ٣٢، ١٩٨٥، ص٢٥ – ٧٠.

(٤) سقراتيس، مصدر سابق، ص٢١٣ ؛ رأفت عبد الحميد، الثورة الشعبية في القسطنطينية، المجله التاريخيه المصريه ، مج ٣٢، ١٩٨٥، ص٢٥ – ٧٠.

(5) Theophanes:op.cit,P.153.

ونستنتجُ مما سبق، أن الإمبراطور البيزنطي كانت له السلطةُ في إعدام كلِّ من يشكُّ في ولائه، أو مَن يتسبب في تهديد أمن البلاد.

كما كانت عقوبة الإعدام جزاءً لكلِّ مزور أو فاسد أو مختلس، فقد أكدت وحرصت قوانين «جستنيان» على تطبيق تلك العقوبة على كلِّ مختلسٍ من أموال الدولة هو وشركاؤه(١).

أما مرتكبو جريمة تزوير النقود أو الوثائق أو استخدام أختام مزوَّرة يُقصد بها الضرر فكانت عقوبتها الإعدام، ففي مدونة «جستنيان» طُبق الإعدام على العبيد مرتكبي تلك الجرائم، أما الحر فكان مصيرُه النفي، وأما قوانين الإمبراطور «ثيودسيوس الثاني» فكانت عقوبة الإعدام مصيرَ أيِّ مزوِّر أو الحرق حيًّا، مع الحرمان من أيِّ عفوٍ إمبراطوريٍّ(٢).

هذا؛ ولم يقتصر فساد الموظفين على التزوير أو الاختلاس، فكان كلُّ مقصِّر في أداء وظيفته فاسدًا، وليس أدلّ على ذلك من قيام الإمبراطور «جستنيان الأول» بإعدام أحد موظفي السكرتارية؛ لأنه أشاع هرب الإمبراطور «جستنيان» أثناء الثورة، وهذا أدى إلى تفاقم الوضع في البلاد(٣).

كما كانت الجرائم الجنسيةُ بجميع حالاتها تستحقُّ عقوبةَ الإعدام، وكانت عقوبةُ الشذوذ الجنسيِّ أو اللواطِ في قوانين الإمبراطور «ثيودسيوس» أو الإمبراطور «جستنيان» تستحق الإعدام بالسيف، ففي عهد الإمبراطور «جستنيان» أمَر بقطعِ رقاب اثنين من رجال الدِّين؛ لأنهم ارتكبوا جريمة الشذوذ الجنسي(٤).

---

١) مدونة جستنيان، ص٣١٩.

2) Codex Theodosianus , IX , 19: 2 , 22. 1 ; 23. 1 , 21. 1 , IX 38: 6 – 7. ;

مدونة جستنيان، ص٣١٩.

3) Chronicon Paschale , PP.125 – 126.

4) Codex Theodosianus , IX , 1. 0 ; IX 2. 1. 3 ; IX , 703 ; Theophaes , Op.Cit ,p. 198 .

كما اتَّفقت القوانين البيزنطية على فرض عقوبة الإعدام على مرتكبي خطف العذارى أو الأرامل أو الراهبات، وأيضًا طُبقت عقوبة الإعدام على المتحرشين بالأطفال ومغتصبيهم، وخير مثال على ذلك قيام «ثيودورا» زوجة «جستنيان» بتلفيق تهمة الاعتداء الجنسي على الأطفال لأحد خصومها السياسيين، ثم قررت دون محاكمة قطعَ عضوِه الذكريِّ، الأمر الذي أدى إلى وفاته على الفور، كما سبق القول أكثر من مرة في مواضع مختلفة(١).

هذا إلى جانب أن مصير مرتكبي جريمة سفاحِ المحارمِ هي الإعدام أيضًا وفقًا للقوانين البيزنطية، وكان مرتكب تلك الجريمة يُحرم من فرض العفو الإمبراطوري في الأعياد والمناسبات الدينية(٢).

كما وصلت عقوبة تدنيس المقابر إلى الإعدام في بعض الحالات في بيزنطة "الأشياء الحرام كالأسوار والأبواب قريبة الشبه بالأشياء التي من حقوق الله. .. تقع عقوبة الإعدام على من يعتدي عليها"(٣).

٥-**العقوبات الإلهية:**

ارتبط انتشار المسيحية ونشأة قانونٍ خاصٍّ بالكنيسة يختص بالمسائل الدينية في المجتمع البيزنطي بظهور فكرةِ العقاب الإلهي لكلِّ من يُهين الأحكام والمبادئ الإلهية المرتبطة بالعقيدة المسيحية؛ مما أدى إلى توغُّل فكرةِ الخوف من العقاب الإلهي الذي عاقِبَتُه تكون في الدنيا والآخرة، وبالتالي فإن أيَّ تفسير لأيِّ حادث قدري أو أيِّ ظاهرة طبيعية أدت إلى حدوث كوارثَ وخسائرَ في المجتمع، على

مدونة جستنيان، ص٣١٩.

1) Codex Theodosianus , IX , 1. 0 ; IX 2. 1. 3 ;

بروكوبيوس، التاريخ السري، ص١٢٤.

2) Codex Theodosianus , IX 16. 3.

(٣ – مدونة جستنيان،ص٥٨.

أنها عقابٌ وغضبٌ إلهيٌّ على المدينة جرّاء ارتكاب فئة مخالفة لبعض المعاصي أدت إلى غضب الرب، وفي الحقيقة، يعدُّ هذا دليلاً على مدى حرص وخوف البيزنطيين من عقاب الله.

وخير مثال على ذلك، اعتبار المخالفين لمبادئ «آريوس» أن حادثة موته ما هي إلا قصاص وعقاب إلهي جرَّاء جرائمه الشائنة، فعندما استدعى الأمبراطور «قسطنطين الأول » «آريوس» من المنفى وقيام «آريوس» بالقسم كذبًا أمام الإمبراطور «قسطنطين» أنه يتفق مع قررات مجمع نيقية والإيمان النيقاوي، وأجبر الإمبراطور «ألكسندروس» أسقف القسطنطينية، بقبول «آريوس» في الشركة، وأثناء خروجه من القصر الإمبراطوري؛ شعر «آريوس» فجأة بحاجةٍ مُلِحَّة لقضاء حاجته، وهناك حلَّ عليه إغماءٌ نتيجة نزيف دموى غزير وخروج أمعائه الدقيقة، إضافة إلى خروج أجزاء من الطحال والكبد؛ مما أدى إلى موته على الفور(١)،ونتيجة لذلك ازداد الإمبراطور حماسًا للمسيحية، وأقرَّ بأن قانون نيقية قد شهد له الله، على حدٍّ قول «سقراتيس»(٢).

وفى الحقيقه من المحتمل أن أنصار مبدأ «أثناسيوس» وضعوا السم لآريوس ، حتى يبرهنوا عن صدق مذهبهم وأن الله غضب على «آريوس» فأنزل عليه عقابه ،مما ينتج عنه زياده المعتقديين بمبدأ «أثناسيوس» .

وأيضًا في الثاني من يونيو لعام ٣٦٧م، نزل جليد كثيرٌ على مدينة القسطنطينية، فأكد الكثيرون أنَّ هذا الجليدَ كان من جرَّاء غضب العناية الإلهية بسبب نفي الإمبراطور «فالنس» العديدَ من رجال الدين الأرثوذكس، الذين كانوا يعملون في

(1)Johannes Roldanus, The Church In The Age Of Constantine ,2006. P.65;

ثيودوريتوس: التاريخ الكنسي لثيودوريتوس أسقف كيروش، ترجمة: بلومفيلد جاكسون، تعريب: بولا ساويرس، سلسلة: المؤرخون الكنسيون الأوائل، ص١٠٠؛ سقراتيس: التاريخ الكنســـي، ص١٦٩.

(٢) التاريخ الكنسي، ص١٧١.

الخدمات المقدسة، كما أنه في الحادي عشر من أكتوبر من العام نفسه حدث زلزالٌ في مدينة نيقية دمَّرها تمامًا، ومع ذلك لم تترك هذه الأحداث أيَّ أثر على ذهن «فالنس»، إذ لم يَكُفَّ عن اضطهاده لكلِّ من يختلفُ معه في الإيمان(١).

ومن الواضح أن العقاب الإلهي جراء جرائم «فالنز» الخطيرة، كانت عواقبها الوخيمة على المدن في هيئة كوارث طبيعية، ولكن هل لم ينل الإمبراطور «فالنس» نصيبَه من العقاب الإلهي؟ حيث إنه المرتكب الفعلي لكلِّ هذه الجرائم.

في الحقيقة، حلَّ على «فالنز» الغضب الإلهي في أعزِّ ما يملك، فقد كان عقاب الله قاسيًا له، إذ أصيب ابنه بمرضٍ خطيرٍ يأس الأطباء من شفائه، وعندما أكَّدت زوجة «فالنس» له أنها رأت رؤيا مخيفةً في أحلامها، الأمر الذي جعلها تعتقد أن مرض الطفل هو سبب معاملة الإمبراطور السيئة لأسقف قيصرية؛ أرسل الإمبراطور واستدعى الأسقف، وأمره أن يصلي من أجل أن لا يموت ابنه، فما كان من الأسقف إلا أن قال له: "إن كان جلالتكم سيؤمن كما أفعل أنا وستتوحد الكنيسة، فإن الطفل سيعيش!، ولكن الإمبراطور لم يوافق على هذه الشروط، فأجابه الأسقف: "إذن فلتكن إرادة الله بشأن الطفل". وبالفعل مات الطفل بعد ذلك بفترة قليلة(٢).

ومن المحتمل أن تكون كلمات هذا الأسقف لـــ«فالنس» لا تحمل في معناها التأكيد والجزم على موت الطِّفل لمخالفة الإمبراطور للعقيدة، فهو لا يعلم ما قدَّره الله

---

(١) سقراتيس: التاريخ الكنسي، ص٤٤٣-٤٤٥-٤٤٦.

كما عقب سقراتيس على حادث حرق فالنس لمجموعة من رجال الدين الأرثوذكس في مدينة فريجية الذي تم ذكره في الفصل الأول، ص٥١، قائلاً: "لم يمضِ هذا العمل المشين بدون عقاب، إذ سرعان ما حلَّت على الفور مجاعةٌ شديدةٌ في سائر أنحاء مدينة فريجية لدرجة أن عددًا كبيرًا من السكان اضطروا إلى هجر بلدهم لبعض الوقت، وتوجه بعضهم إلى القسطنطينية". انظر، سقراتيس: مصدر سابق، ص٤٦١.

(٢) سقراتيس: التاريخ الكنسي، ص٤٩٢.

للطفل، وإنما هي كلمات تشمل في مجملها أنَّ مصير هذا الطفل هي بين مشيئة الله، وإن كان الجزم هنا بأنَّ مرض الطفل هو عقابٌ إلهي لـــ«فالنس» حتى يتراجع عن أعماله المشينة ضد العقيدة السليمة.

ليس هذا فحسب، فتعدُّ حادثةُ موت «فالنس» عام ٣٧٨م نفسِه وهزيمته على يد القوط، عقابًا إلهيًّا له، فكونه مات محروقًا على يد البربر فهذا شيء مشينٌ له وللإمبراطورية كلها(١).

كما تجب الإشارة إلى تلك الرواية التي ذكرها «سوزمين»، عن ذلك الرجل الذي كان من أتباع هرطقة «مقدنيوس»، فتصادف أن سمع عظة لـــ«يوحنا ذهبيّ الفم» بخصوص الرأي الذي ينبغي الأخذ به بالنسبة للطبيعة الإلهية، واقتنع بالحجة التي سمعها، وسعى إلى إقناع زوجته لتبنِّي نفس الاعتقاد، ولكن أحاديث النساء اللاتي تعرفهن قد منعتها من الامتثال لرغبته، فهدَّدها زوجُها إن لم تؤمن معه بنفس الرأي فلا يجب أن تستمرَّ في العيش معه، وبالفعل وعَدَته الزوجة أن تفعل ما طلبه منها، ولكنها كانت في داخلها تتبع آراء «مقدنيوس»، وفي يوم الاحتفال بالسرائر الإلهية، رخت رأسها كما لو كانت منهمكةً في الصلاة، وكانت في يدها قطعة خبز، فبمجرد أن وضعتها بين أسنانها تحولت إلى حجر، ولما حدث هذا الأمر الإلهي خافت جدًّا أن تحلَّ عليها مصيبةٌ أشد، فركضت إلى الأسقف واعترفت بجرمها، وأرته الحجر الذي يحمل آثار أسنانها، وطلبت المغفرة، واستمرت في نفس الاعتقاد الديني مع زوجها(٢).

---

(1)Timothy E. Gregory, A History of Byzantium, BLACKWELL,2005,pp.81-82.;

محمد محمد مرسي الشيخ: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار المعرفة الجامعية (١٩٩٤)، ص ٢٩.

(٢) التاريخ الكنسي، ك٨، ٧٣١.

وهناك رواياتٍ كثيرةً تدلُّ على العقاب الإلهي جرَّاء إهانة «يوحنا ذهبي الفم» وتعرُّضه لبعض العقوبات، سواء أكانت تلك العقوبات كوارثَ طبيعية أم عقوبة بدنية تُصيب شخصًا بعينه.

وليس أدل على ذلك من العقاب الذي تعرَّض له أحدُ معارضي «يوحنا»، وهو أسقف خلقيدون، فبعد وشايةٍ ضد «يوحنا»، تعرَّض لحادثٍ كانت نتيجته بترَ قدميه، وأكَّد الكثيرون أن هذه الواقعة كانت عقابًا إلهيًّا له(١).

كما حدثت كوارث طبيعية، نتيجة نفي «يوحنا»، فبعد أن تمَّ نفيُه إلى حيرون، حدث زلزالٌ في القسطنطينية ليلاً، فتم إرسال مبعوثٍ من قِبل الإمبراطور «أركاديوس» يرجوه العودة إلى القسطنطينية، ليمنع المهالك عن المدينة(٢).

وفي عام ٤٤٠م، سقط على القسطنطينية وضواحيها جليدٌ ضخمٌ، واعتبر هذا غضبًا إلهيًّا من جرَّاء عزلِ «يوحنا» مرة أخرى، ومما أعطى الأمر ثقلاً كبيرًا موت الإمبراطورة «أودكسيا» زوجة «أركاديوس»، بعد سقوط الجليد بأربعة أيام(٣).

ومن الملاحظ أن الإيمان والاعتقاد بفكرة العقاب الإلهي، كانت لها أكبر الأثر على تغيير مسار بعض العادات الخاطئة والأفكار المخالفة للعقيدة المسيحية في تلك الفترة، كما كانت لها دور فى تغيير مجريات بعض الأحداث، فلولا قيام تلك الزلازل ما كان لـــ«يوحنا» أن يعود بهذه السرعة من المنفى، ولولا تحوُّل الخبز إلى حجر ما كانت تلك المرأة لتعود عن أفكارها الخاطئة وتتبع الإيمان الصحيح على حد أعتقادهم .

---

(١) سقراتيس: التاريخ الكنسي، ص٦٦١.

(٢) ثيودوريتوس: التاريخ الكنسي، ص٤٤٨.

(٣) سقراتيس: مصدر سابق، ص٦٦٢.

ومن ثَم، ربما تكون تلك الحوادث القدرية إشارةً من الخالق لتغيير الأحداث إلى مجراها السليم، ودليلاً على العناية الإلهية وإرادته في تحويل مسار الأمور والأحداث إلى مسارها الطَّبَعِي، قبل أن يُحِلَّ الله عقابه الأبدي.

وهكذا فقد كانت بيزنطه وبالأخص القسطنينيه مسرحًا لكثيرًا للأحداث والجرائم ، وعليه فلم يتوان الأباطره فى توقيع العقوبات ، حتى يتم السيطره على مجريات الأمور داخل ولايات الإمبراطوريه، لذلك تعددت وتنوعت أشكال العقوبات وفقًا لما نصت عليه القوانيين .

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: المصادر الأجنبيه:-

1- Ammianus Marcellimus: Roman History,Tr.John C.Rolef ,(London,1935), Vol.II.

3- Theophanes confessor: The Chronicle of Theophanes ,Tr.by Cyril mango and Roger Scott, (London ,1997) , P.280.

4- The Theodosian Code and Novels and the Sirmondian Constitutions, trans. C. Pharr,(Princeton, 1952) .

6- Paschale: Chronicon Paschale 248-628 AD , Tr. Michael Whitby and Mary Whitby , (Liverpool University press, 1989.

ثانيًا المصادر العربيه والمترجمه:

- بروكوبيس: التاريخ السري، ت: علي زيتون، دمشق/ ٢٠٠٣م
- ثيودوريتوس: التاريخ الكنسي لثيودوريتوس أسقف كيروش، ترجمة: بلومفيلد جاكسون، تعريب: بولا ساويرس، سلسلة: المؤرخون الكنسيون الأوائل.
- سقراتيس سكولاستيكوس: التاريخ الكنسي، ترجمة: ايه. سي زينوس، تعريب: بولا ساويرس، سلسلة: المؤرخون الكنسيون الأوائل.
- سوزمين: التاريخ الكنسي، ترجمة: تشستر هارتر، تعريب: بولا ساويرس، ط: سلسلة المؤرخون الكنسيون الأوائل، ١٨٩٠م.
- مدونة جستنيان، ترجمة: عبد العزيز فهمي، المركز القومي للترجمة: القاهرة- ٢٠٠٩.

ثالثًا: المراجع الأجنبيه:

1-Athanasius: Athanasius: Select Works and Letters, E.PhilipSchaff Literature. Publishing, New York,1892.

2-James w. Ermatinger The Decline and fall of the Roman Empire London, 2004.

3- Johannes Roldanus, The Church In The Age Of Constatine , Routledge. New york 2006.

4- Lascaratos,J.&Maketos,S., "The Penalty Of Blinding during Byzantine Times", documenta Ophalmogica,VOL.81,(1992).

5-Timothy E. Gregory, A History of Byzantium, BLACKWELL,2005.

6- Washburn D Banishment In The Later Roman Empire: The Rhetoric And Realities Of A Disciplinary Institution ,(Ph.D, the University Committee on Graduate Studies,2007).

رابعًا : المراجع العربية والمترجمه:-

- أسد رستم: الروم، ط: دار المكشوف، بيروت/ ١٩٥٥-١٩٥٦م.
- الأمين أبو سعدة: عقوبة الإعدام في بيزنطة بين الواقع والقانون، ٣٣٠ – ١٢٠٤م، حوليات مركز البحوث والدراسات التاريخية، كلية الآداب- جامعة القاهرة، عدد: مايو ٢٠١٦م.
- الأنبا إرميا: القوانين الكنسية، ج١، المركز الثقافي القبطي (٢٠١٣)، ص٣٧-٣٨.
- أندرو ملر: مختصر تاريخ الكنيسة، (القاهرة، ٢٠٠٣).
- جون لوريمر: تاريخ الكنيسة، ط: دار الثقافة العربية، القاهرة/ ١٩٨٢م.
- رأفت عبد الحميد، الثورة الشعبية في القسطنطينية، المجله التاريخيه المصريه ، مج ٣٢، ١٩٨٥.

- محمد عبد الشافي المغربي: العميان في الدولة البيزنطية، المجلة المصرية للدراسات التاريخية بالجمعية التاريخية – القاهرة، المجلد ٢٠١٢، عدد ٤٨.
- محمد محمد مرسي الشيخ: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار المعرفة الجامعية (١٩٩٤).
- مصيونة عبد الواحد محمد: العلاقة بين المذاهب الدينية المسيحية والدولة البيزنطية، رساله ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عمر المختار–البيضاء، سنة ٢٠٠٩.
- منى كرم: القديسة هيلانة، القديسة هيلانة وابنها الإمبراطور قسطنطين الكبير، مجلة دار المشرق، العدد يونيو،٢٠٠٧م.